#7

مُقَدِّمَةُ
ابْنِ خَلْدُونَ

وَهِيَ الجُزْءُ الأول مِن كِتَاب العِبَر وَديوَان المُبْتَدإِ وَالخَبَر ...

تَأليف

عَبدالرحمٰن بْن محمّد بْن خَلدُون

بتحقِيق

المستشرق الفرنسي

ا . م . كاترمير

عَن طَبعَة باريس سَنة ١٨٥٨

المجلّد الأول

MIDDLEBURY COLLEGE LIBRARY

مكتبة لبنان

ساحة رياض الصّلح

بيروت

وينسون خلق البسالة التى كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالا على حامية اخرى ان كانت لهم واعتبر ذلك فى الدولة التى اخبارها فى الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك صحيحا من غير ريبة وربّما يحدث فى الدولة اذا طرقها هذا الهرم بالترف والراحة ان يتخيّر صاحب الدولة انصارا وشيعا من غير جلدتهم ممّن تعوّد الخشونة فيتّخذهم جندا يكونون اصبر على الحروب واقدر على معاناة الشدايد من الجوع والشظف ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذى عساه يطرقها حتى يتأذّن الله فيها بامره وهذا كما وقع فى دولة الترك بالمشرق فان غالب جندها الموالى من الترك فيتخيّر ملوكهم من اولئك الممالك المجلوبين اليهم فرسانا وجندا فيكونون اجرا على الحرب واصبر على الشظف من ابناء المماليك الذين كانوا قبلهم وربوا فى ماء النعيم والسلطان وظلّه وكذلك فى دولة الموحدين بافريقية فان صاحبها كثيرا ما يتّخذ اجناده من زناتة والعرب ويستكثر منهم ويترك اهل الدولة المتعوّدين للترف فتستجد الدولة بذلك عمرا اخر سالما من الهرم والله وارث الارض ومن عليها

فصل فى ان الدولة لها اعمار طبيعيّة كالاشخاص

اعلم ان العمر الطبيعىّ للاشخاص على ما زعم الاطبّاء والمنجمون

ماية وعشرون سنة وهى سنو القمر الكبرى عند المنجمين ويختلف العمر فى كل جيل بحسب القرانات فيزيد عن هذا وينقص منه فتكون اعمار بعض اهل القرانات ماية تامّة وبعضهم خمسين او ثمانين او سبعين على ما تقتضيه ادلّة القرانات عند الناظرين فيها واعمار اهل هذه الملّة ما بين الستّين الى السبعين كما فى الحديث ولا يزيد على العمر الطبيعىّ الذى هو ماية وعشرين الا فى الصور النادرة وعلى الاوضاع الغريبة من الفلك كما وقع فى شأن نوح عليه الصلاة والسلام وقليل من قوم عاد وثمود واما اعمار الدول ايضا وان كان يختلف بحسب القرانات الا ان الدولة فى الغالب لا تعدو اعمار ثلاثة اجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون اربعين الذى هو انتهاء النموّ والنشوء الى غايته قال تعالى حتى اذا بلغ اشدّه وبلغ اربعين سنة ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويؤيّده ما ذكرناه فى حكمة التيه الذى وقع لبنى اسرائيل وان المقصود بالاربعين فيه فناء الجيل الاحياء ونشاءة جيل اخر لم يعهدوا الذلّ ولا عرفوه فدلّ على اعتبار الاربعين فى عمر الجيل التى هى عمر الشخص الواحد وانما قلنا ان عمر الدولة فى الغالب لا يعدو ثلاثة اجيال لان الجيل الاول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحّشها من شظف العيش والبسالة

PROLÉGOMÈNES d'Ebn-Khaldoun.

والافتراس والاشتراك فى المجد فلا تزال بذلك سورة العصبيّة محفوظة فيهم فحدّهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون والجيل الثانى تحول حالهم بالملك والرفه من البداوة الى الحضارة ومن الشظف الى الترف والخصب ومن الاشتراك فى المجد الى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعى فيه ومن عزّ الاستطالة الى ذلّ الاستكانة فتنكسر سورة العصبيّة بعض الشئ ويونس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم لكثير من ذلك بما ادركوا الجيل الاول وباشروا احوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم الى المجد وتراميهم الى المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الاحوال التى كانت للجيل الاول او على ظنّ من وجودها فيهم واما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العزّ والعصبيّة بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ الترف فيهم غايته بما تبنكوه من النعيم وعضارة العيش فيصيرون عيالا على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبيّة بالجملة وبنسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس فى الشارة والزىّ وركوب الخيل وحسن الثقافة يموّهون بها وهم فى الاكثر اجبن من النسوان على ظهورها فاذا

جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظهار بسواهم من اهل النجدة ويستكثر بالموالى ويصطنع من يغنى عن الدولة بعض الغناء حتى يتاذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بها حملت فهذه كما تراه ثلاثة اجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلّقها ولذلك كان انقراض الحسب فى الجيل الرابع كما مرّ فى ان المجد والحسب انّما هو فى اربعة آباء وقد اتيناك فيه ببرهان طبيعىّ ظاهر مبنىّ على ما مهّدناه قبل من المقدّمات فتأمّله فلن يعدو وجه الحقّ ان كنت من اهل الانصاف وهذه الاجيال الثلاثة اعمارها ماية وعشرون سنة على ما مرّ ولا تعدو الدولة فى الغالب هذا العمر بتقريب قبله او بعده الا ان عرض لها عارض اخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلا مستوليا والمطالب لم يحضرها ولو قد جاء الطالب لها وجد مدافعا فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزيّد الى سنّ الوقوف ثم الى سنّ الرجوع ولهذا يجرى على السنة الناس فى المشهور ان عمر الدولة ماية سنة وهذا معناه فاعتبره واتّخذ منه قانونا يصحّح لك عدد الآباء فى عمود النسب الذى تريده من قبل معرفة السنين الماضية اذا كنت قد استربت فى عدّتهم وكانت السنون الماضية منذ اولهم محصلة لديك

PROLÉGOMÈNES d'Ebn-Khaldoun.

فعدّ لكل ماية من السنين ثلاثة من الاباء فان نفذت على هذا القياس مع نفوذ عددهم فهو صحيح وان نقصت عنه بجيل فقد غلط عددهم بزيادة واحد فى عمود النسب وان زادت بمثله فقد سقط واحد وكذلك تاخذ عدد السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك صحيحا والله مقدّر الليل والنهار

فصل فى انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة

اعلم ان هذه الاطوار طبيعيّة للدولة فان الغلب الذى يكون به الملك انما هو بالعصبيّة وما يتبعها من شدّة البأس وتعوّد الافتراس ولا يكون ذلك غالبا الا مع البداوة فطور الدولة من اولها بداوة ثم اذا حصل الملك يتبعه الرفه واتّساع الاحوال والحضارة انما هى تفنّن فى الترف واحكام الصنايع المستعملة فى وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمبانى والفرش والآنية وساير عوايد المنزل واحواله فلكل واحد منها صنايع فى استجادته والتانّق فيه تختصّ به ويتلو بعضها بعضا وتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذّ والتنعّم باحوال الترف وما تتلوّن به من العوايد فصار طور الحضارة واحوالها للدولة السالفة قبلهم فاحوالهم يشاهدون ومنهم فى الغالب ياخذون (ومثل) هذا